علاقة اللهجة الورقلية بالفصحى

أ: بابلحاج ربيعة

جامعة ورقلة

لقد شغلت اللغة الأمازيغية العديد من الباحثين اللغويين عبر الأزمنة , باعتبارها من أقدم اللغات الإفريقية و التي تتميز بعدة خصائص و مقومات جديرة بأن تكون من مصاف اللغات السامية.

و لعل الدافع الأول الذي جعلني أكتب هذا المقال هو محاولة تعزيز الثقة و الاعتزاز بلغتنا الأمازيغية , و محاولة دحض الادعاءات المغرضة و المشككة في عراقتها و الاساءة إليها كاعتبارها مجرد لهجة , أو لغة البربر البدائية و المتخلفة.

و قد ظهرت هذه اللغة منذ ألاف السنين 10000 سنة قبل الميلاد في حين أن اللغة العربية ظهرت 100 سنة ق.م , يقول ابن خلدون : " و السبب في ذلك أن هذه الأقطار كانت للبربر منذ ألاف السنين قبل الإسلام و كان عمرانها كان بدويا و لم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها" .

و يعد شمال إفريقيا موطن الأمازيغية , و تسمى بلسان أهل المنطقة" تامازيغت" tamazigt .و تمتد رقعتها من غرب مصر القديمة إلى جزر الكناري , و من حدود جنوب البحر الأبيض المتوسط إلى أعماق الصحراء الكبرى في النيجر و مالي .

عرفت عن الأمازيغية سبع لهجات كبرى هي اللهجة السوسية و الطلسية و الريفية بالمغرب, و اللهجة القبايلية و الشاوية و الطوارقية بالجزائر

, و هذه الأخيرة أي الطوارقية بالإضافة إلى تواجدها بالجزائر , نجدها كذلك في ليبيا , مالي , النيجر ، بوركينافاسو و اللهجة النفوسية بليبيا.أما ما تبقى من لهجات فهي لهجات صغيرة و قريبة من اللهجات الكبرى ، و منها اللهجة الورقلية (تقرقرنت) , المزابية و الشاوية في الجزائر , و اللهجة الزواوية و الغدامسية بليبيا.

الثنائية اللغوية العامية و الفصحى :

هل سمعت يوما شخصين يتكلمان بالفصحى رافعين الفاعل , ناصبين المفعول به مراعين قواعد اللغة ؟ لو فعلا لعجزا و تسابقا غيرهما إلى الضحك . ذلك أن لغتهما غير طبيعية , و غير راسخة فيهم .

أما العامية أو العاميات العربية فتستمد قوتها من الحياة الطبيعية , و الحياة الطبيعية لا تقهر و لذلك لم يدع أحد إلى مناهضتها بل دعي إلى تبنيها و تنقيتها من الشوائب و الرفع من مستواها و اثرائها للتقريب بينها و بين الفصحى .

أما الفصحى فلا يلجأ إلى استعمالها في الحديث الا في بعض المناسبات الرسمية المواتية مثل الخطب الدينية و المواضيع الأكاديمية الا أنها تعوض ما تأخذه منها العامية على المستوى الشفوي و ذلك بسيطرتها الكاملة على ميداني الكتابة و القراءة . فقواعد الفصحى صرفا و نحوا و تعبيرا هي المعترف بها رسميا في المجتمعات العربية و من ذلك يتضح أن العامية و الفصحى ذات أدوار لغوية متكاملة في محتمعات العالم العربي . فللفصحى دور القراءة و الكتابة و للعامية دور الحديث اليومي . و لعل هذه الثنائية اللغوية عامل مهم , لا بد من الاستعانة به, في تفسير ندرة استعمال

الفصحى حتى من طرف الذين يتقنون الحديث بها في الاحتكاكات الاجتماعية اللغوية المستعملة في تيارات الحياة الاجتماعية العامة في التجمعات العربية و يرجع ذلك من منظور تحليلي إلى الفروق الكبيرة الموجودة بين الفصحى و العاميات العربية بسبب أن النص العربي القرآني قد ثبت من جهة , نسق بنية اللغة العربية الفصحى و قواعدها , و أن اللهجات العربية محكوم عليها من جهة أخرى , بالتغيير المستمر عبر الزمان و المكان الذين تخضع لهما طبيعة اللغات و اللهجات(1).

و أما في المجال اللساني فلا تتميز اللهجة عن اللغة , لأن اللهجة نظاما صوتيا و لغويا و معجميا كاللغة تماما , الفرق اذن يكمن بين مفهومي اللغة و اللهجة من نوع اخر , فاللهجة يقصد بها عادة المستويات الشفوية للغة و التي رغم اختلافها لا تمنع حصول التفاهم بها , و سر هذه الاختلافات أن اللغة متى انتشرت في مناطق واسعة من الأرض و تكلمت بها طوائف من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا , و في هذا يقول أندري مارتيني : من المعروف أن اللغات لا تبقى بالضرورة على حال واحدة في جميع المناطق انتشارها , و قد تتسع الفروق إلى درجة يصبح معها حصول الابلاغ بها ليس أمرا مضمونا , و في هذه الحالة نتكلم عما يسمى باللهجات , مما يضطر الباحث لأن يحدد و في كل مرة اللهجة التي يعالجها لكن القروق قد تكون طفيفة لا تؤثر على الفهم .(2)

و قد عرّف الدكتور إبراهيم أنيس اللهجة بقوله: «اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، و يشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة»(3)

ان مصطلح اللهجة ارتبط بمصطلحات أخرى مثل اللكنة و اللثغة , فأما اللكنة ففيها اقتصار على وصف جوانب النطق التي تعرف بوضع الناطق الاقليمي أو الاجتماعي ، و هي بذلك تختلف عن اللهجة التي نجد فيها إلى جانب النطق ملامح النحو و المفردات , و أما اللثغة فهي حالات نطقية شاذة لا تشمل الا فئة أو أفرادا معينين مثل نطق السين ثاء عند بعض الصبيان .

– رأي ابن خلدون في (الفصحى و العامية):

ينقسم المتكلمون باللغة إلى قسمين :

المتكلمون بالفصحى و هم المتعلمون.

ب– المتكلمون بالعامية و هم غير المتعلمين.

هذا فيما يخص التقسيم الوظيفي.

و لو عدنا إلى ابن خلدون نجده قسم المتكلمين تقسيما اجتماعيا:

سكان الحضر: و هم المتكلمين بالفصحى

سكان المدن: و هم المتكلمين بلغات مختلفة ممزوجة بنسبة قليلة أو كثيرة بالكلمات العربية(4).

في عرف ابن خلدون أن اللغة العربية الفصحى موجودة في الحضر (أهل الريف) بالرغم من أنهم غير مثقفين . أما عن طريقة تعلمها فتتم بطريقتين مختلفتين: طريقة الطبع و طريقة الصنعة. في البدئ كانت بالطبع (عفوية) يقول في ذلك : «فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة

العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله و أساليبهم ...كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة و من كل متكلم، و استعماله يتكرر، إلى أن يصير ذلك ملكة و صفة راسخة و يكون كأحدهم.هكذا تصير الألسن و اللغات من جيل إلى جيل، و تعلمها العجم و الأطفال. و هذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع» بمعنى أنها ملكة تحدث من تكرار الأفعال (الصفة ثم الحال ثم الملكة)، فإذا كانت الظروف مهيأة و موجودة تلقائيا كان تعلم اللغة يتم بصورة تلقائية، و هذا راجع لاستخدام اللغة بكل عفوية (بالطبع) بفضل انتقالها بشكل صحيح نطقا و سماعا (من جيل إلى جيل) و لم يحتاجوا في ذلك إلى تعليم.

و بقي الوضع كذلك حتى استدعت الحاجة إلى التعليم نتيجة الانتقال من الطبع إلى الصنعة، و يعود ذلك إلى اختلاط العرب بالأجناس البشرية الأخرى في الأزمنة المتأخرة، مما استدعى امتزاج الألسنة العربية الفصحى بغيرها من اللغات الأجنبية فتولدت بذلك اللغات العامية فاستوجبت بذل المزيد من الجهد للحفاظ على اللغة الراقية و ذلك بالاعتماد على الصنعة و التعليم من خلال اللجوء إلى النصوص العربية شعرا و نثرا بطريقة التلقين و الحفظ « و على قدر المحفوظ و كثرة الاستعمال تكون جودة المصنوع نظما و نثرا... و هكذا ينبغي أن يكون تعلمها.»(5).

اللغة الأمازيغية

تعد الأمازيغية في المناطق الناطقة بها لغة أم , رغم محدودية مستعمليها , حيث لا يوظف غيرها , خاصة في الريف و داخل البيوت و عند عدد من كبار السن .

يؤكد المؤرخون و العارفون باللغات أن اللهجات الأمازيغية التي يتحدث بها في منطقة واسعة من شمال افريقيا حتى جنوب نهر النيجر و جزر الكناري لهجات متعددة , لا يفهم المتحدثون بلهجة أو لهجات أخرى متحدثا بلهخة أو لهجات أخرى . و الجزائر جزء معتبر من منطقة شمال افريقيا مساحة و سكانا(6) , لذلك تعتبر معرفة اللغة الأمازيغية زيادة في ثقافة الفرد الجزائري , و معرفة لبعضنا البعض.

التفاعل اللغوي بين الورقلية و اللغة العربية

أستسمحكم في البداية أن أورد بعض الكلمات باللغة الورقلية حتى تتضح الرؤيا.

الورقلية أو تقرقرنت بلسان أهل المنطقة لهجة متميزة عن غيرها من اللغات الأمازيغية , يقتصر استعمالها في الغالب على أقلية محدودة من سكان ورقلة و خاصة الذين سكنوا القصر العتيق أو القصبة .

من حيث التركيب :

تنحدر اللغة الأمازيغية بما في ذلك الورقلية من الفصيلة السامية و هي أخت العربية , من خصائصها التنوين : مثلا كرة بالورقلية (تكرتن) , النخلة (تجدايتن) ، الدار (تدارتن), عربي (أعرابن) .

أداة التعريف , في الورقلية نجد ال الشمسية هي الغالبة , في مثل الكانكي الفانوس ,

التناست المفتاح , العافيت النار .

الحروف في الأفعال:في الماضي مثلا الفعل جاء : جئت أشغد جئت تشدد للمذكر و المؤنث جئتما وجئتم تشمد كذلك للمذكر والمؤنث

نجد كذلك النسبة فيقال مثلا: أمزابي , صحراوي, تارغي.

في الألفاظ :

اختلف الرواة في تسمية مدينة ورقلة و كثرت التأويلات , فمنهم من أرجع تسميتها إلى كلمتين (وار _ قلة) و يقولون ان وار معناه الأسد كان يأكل كل ما وجد أمامه من انسان و حيوان و ثمار , و حتى يتخلصون منه حفروا له حفرة عميقة و في داخلها الحطب حتى يقع فيها . فغطوا تلك الحفرة بالجربد و عند قدومه كالعادة وقع في الجب فأضرموا عليه النار و لم يتمكن من الصعود ولم يتخلص من النيران فمات محترقا , فأخذ القوم يقولون وار قلى أو قلي بالفصحى بمعنى قلي أو احترق .

_ المرفع : بالورقلية بمعنى الرف الذي يعلق على الحائط هو مصنوع من الخشب أو الحديد , و بالفصحى رفع الشئ أي نقله من أسفل إلى أعلى.

_ اغبر : بالورقلية بمعنى ضاع , و يقال لفلان اغبر بمعنى هجر بيته و لم يعرف مكانه بمعنى ذهب و فقد و بالفصحى غبر بمعنى مضى و ذهب

_ أفروح : و هو بالورقلية ابن اليمامة و بالفصحى يقال الفرخ و هو ولد الطائر .

_ أغرغار : بالورقلية يقال لصوت الحنفية لما يذهب ماؤها أو تفرغ , أو الانسان في لحظات سكرة الموت , و بالفصحى نجد الغرغرة , رد الماء في الحلق .

_ تكيرت , بالورقلية يعني العباءة أو الجبة التي يرتديها الرجل و خاصة في المسجد قصد أداء الصلاة , و في الصلاة يبدأ طبعا بالتكبير , و منها أخذت التسمية .

_ تورت : بالورقلية يقال للباب و في اللسان نجد وريت الشيئ و واريته : أخفيته و توارى هو : استتر . و يقال وري خلف الباب ومنه سمي بهذا الاسم .

_ لوقيد بالورقلية يعني الكبريت , و في اللسان وقد النار تقد وقودا , أي توقدت و الوقود بالفتح : الحطب . بمعنى أشعل و أضرم النار في الحطب.

_ أجليد : بالورقلية بمعنى السلطان أو الحاكم و في اللسان :مصدره ضربه بالسوط يجلده جلدا ضربه . أو ألحق به العقاب و منه أخذت التسمية لأن السلطان من مهامه اصدار حكم العقاب على المخطئ من الرعية و غالبا ما يكون بالجلد .

_ ابهى : بالورقلية : الجمال و بالفصحى البهاء , كل شيئا ذا نظرت اليه أسرك .

تقرت : بالورقلية البرودة و بالفصحى القر و هو البرد الشديد.

. دوحدي : بالورقلية كل ما هو متقن و فريد , و في اللسان: توحد برأيه : تفرد به . كل ما هو مميز و فريد من نوعه .

_ أدقدق : هو بالورقلية التهشيم . و في اللسان : دقق : هو أن تضرب الشيئ بالشيئ حتى تهشمه

_ تفوحت : و هي الرائحة بالورقلية . و بالفصحى فاح يفوح اذا انتشرت رائحته .

_ ثمورت : هي بالورقلية الأرض و بالفضحى المطمورة و هي الحفرة التي كانت في القديم تستعمل لحفظ الغلة . طمر الشيئ دفنه.

أغلب : بالورقلية بمعنى كثير و بالفصحى اذا غلب الشيئ و فاق حده .

_ حلقات بالورقلية بمعنى الأقراط و في اللسان : يقال حلقة من الناس أو من الحديد .

_ تملحفت : هي بالورقلية الملحفة و لباس المنطقة , و في اللسان : اللحاف و الملحف و الملحفة : اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد و نحوه , كل شيئ تغطيت به فقد التحفت به و اللحاف اسم ما يلتحف به .

_ تقطعيت : هي بالورقلية الأرض المحددة , و في اللسان قطعة الأرض اذا كانت مفروزة , و حكى عن الأعرابي أنه قال : ورثت عن أبي قطعة

_ تزوات : هي بالورقلية كيس من القماش لحفظ المتاع أو الطعام و غيره , و في اللسان : المزود : وعاء يجعل فيه الزاد .

_ نقلت : هي بالورقلية فسيلة و في اللسان تحويل الشيئ من موضع إلى موضع , و هو الحجارة مع الشجر .

_ لجراب: يشبه محفظة صغيرة مصنوعة من الجلد , و يطلق عادة على حافظة النقود و الأوراق النقدية . و في اللسان : الوعاء , و قيل هو المزود و العامة تفتحه , فتقول الجراب , و الجراب : وعاء من ايهاب الشاة لا يوقى فيه الا يابس .

هذه عينة من الألفاظ حاولنا جمع بعضها ,فالأمازيغ أحبوا العربية و خدموها و أبدعوا فيها شعرا و نثرا , فلفظة ' أمرابض' ومدلولها و ما يحضى به من مكانة لاعلاقة لها بالثروة و السلطة بمعناهما الحالي , فهي تعني حفظ القران و تعليم العربية و الاستقامة و الحكمة . فمنطقة ورقلة تحوي من الأدب الشعبي تراثا شفويا علينا حمايته من الاندثار .

الإحالات :

1_ مجوعة من الباحثين , اللسان العربي و اشكالية التلقي , مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت , ط1 , 2007م , ص51.

2_ أندري مارتيني, مبادئ اللسانيات العامة , ترجمة : أحمد الحمو ,وزارة التعليم العالي, سوريا , 1986م , ص 32.

3_ محمود سليمان ياقوت, منهج البحث اللغوي ,نقلا عن : ابراهيم أنيس ,اللهجات,دار المعرفة الجامعية, الاسكندرية , (دط),2003م , ص 274.

4 _ عبد الرحمان بن خلدون ,مقدمة ابن خلدون , تحقيق : علي عبد الواحد وافي , دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع , 2006 م , ص1140.

5_ المزجع نفسه ، ص 1146, 1147.

6_ مجموعة من المؤلفين , اللغة الأم , دار هومة , الجزائر, ط1 ,2004, ص64.